

سياسة التربية اللغوية تجاه المواطنين العرب في إسرائيل

تأليف: محمد أمارة وعبد الرحمن مرعي (٢٠٠٤)،

مركز دراسات الأدب العربي، بيت بيرل.

لا شك أن اللغات المعاصرة تستمد قوتها ومكانتها من أهميتها الثقافية، وهذا هو أحد المقاييس الهامة لتحديد مكانة اللغة بالمقارنة مع سائر اللغات الحية. وثمة صلة بين تطور أية أمة من الأمم وارتقاء لغتها. هذا ما حرصت عليه الأمم المتحضرة في العالم لاختفاء تراثها، لتفي اللغة بمطالب العلوم والثقافة.^١ لكن يبدو لنا أن بعض اللغات الرسمية ما زالت تسيطر على سائر اللغات لأسباب سياسية وأحيانا أيديولوجية، كما هو الحال في بعض الدول الأوروبية وإسرائيل.

يضم الكتاب المشار إليه اعلاه للباحثين د. محمد أمارة و د. عبد الرحمن مرعي، تسعة فصول، يتناول الفصل الأول العلاقة بين اللغة والهوية السياسية، ويستقصي الفصل الثاني التطورات الداخلية والإقليمية بالنسبة للأقلية العربية في إسرائيل، بينما يعالج الفصل الثالث المخزون اللغوي للأقلية العربية اجتماعيا وسياسيا. في الفصل الرابع يبحث المؤلفان تعليم العربية كلغة أم، أما الفصل الخامس فيتركز في تعليم العربية كلغة ثانية، ويتمحور الفصل

١ راجع: نور الدين النيفر، فلسفة اللغة واللسانيات، تونس، ١٩٩٣؛ Roman Jakobson: *Essai de linguistique générale*, ed, minuit 1981; George Yule, *The Study of Language*, Cambridge, 1996.

السادس حول تعليم الإنجليزية كلغة أجنبية أولى، والفصل السابع حول تعليم الفرنسية كلغة أجنبية ثانية. أما الاتجاهات والأيدولوجيات اللغوية فقد وردت في الفصل الثامن. ويختتم الفصل التاسع الكتاب بدراسة ميدانية مفصلة يجداول مختلفة، حول تعلم العبرية والعربية والإنجليزية. ويليه خاتمة وملاحق الدراسة.

الطبعة التي بين أيدينا هي ترجمة عن الطبعة الأولى للكتاب التي صدرت بالإنجليزية عام ٢٠٠٢: *Language Education Policy: The Arab Minority in Israel* عن (Kluwer Academic Publisher للمنشورات الأكاديمية). يتناول الكتاب بمحمل فصوله بعض نواحي العلاقات المنشطرة، أو ربما المهشمة بين المواطنين العرب واليهود في إسرائيل، على ضوء سياسة التربية اللغوية، بالإضافة إلى عوامل سياسية واجتماعية أخرى.

من الجوانب الهامة في الكتاب، مسألة العلاقة بين اللغة والهوية السياسية، فاللغة ليست شكلا من الرموز، بل هي بصفة عامة اجتماعية وفردية معا، نعني مجموعة النظم والقوانين اللغوية المخزونة في ذاكرة الجماهير. ويبدو أن السياسة اللغوية تجاه الاقليات أو القوميات في العالم تكاد تكون متشابهة، حيث نجد العديد من القوميات التي لا تعد لغتها رسمية، واقليات أخرى حظيت لغتها بصفة رسمية، لكن من الناحية الواقعية يمكن اعتبارها غير رسمية، وهذا ينطبق على الوضع في إسرائيل، فإلى جانب اللغة العبرية هناك العربية، إلا أن السيطرة الفعلية هي للعبرية في جميع مرافق الحياة، بينما الإنجليزية والفرنسية ليستا رسميتين.

يستعرض الكتاب أيضا التطورات الداخلية والإقليمية للأقلية العربية في إسرائيل، التي تعيش في ظل الصراع العربي- الإسرائيلي، الذي خلق توترا وقلقا نوعا ما، بين المواطنين العرب واليهود؛ فبالإضافة إلى شعور الإسرائيليين بتعاطف الأقلية العربية سياسيا مع العالم العربي نسبيا، يرافق ذلك فقدان سياسة إسرائيلية واضحة تجاه الأقلية، ورغم وجود اتفاقيات سلام مع دولتين عربيتين، لا زال المواطن العربي يواجه مشاكل عديدة في المجال الثقافي والاقتصادي والاجتماعي، الأمر الذي اظهر نمو الوعي السياسي لديه، أو ربما البحث عن هوية فلسطينية وإلى جانبها هوية ذاتية مستقلة.

وإذا كانت هناك علاقة بين السياسة والأيدولوجية اللغوية، فمن الطبيعي أن يصبح المخزون اللغوي للأقلية العربية مركبا، حيث يدرس الطالب العربي في المدارس الحكومية ثلاث لغات: العبرية والعربية والإنجليزية، بينما الفرنسية تدرس في المدارس الخاصة أو الأهلية. لكن رغم اعتراف المنهج التعليمي الجديد بالعربية كلغة قومية، ما زالت العربية تلهث وراء العبرية، بل أن مكانتها بين اللغات الثلاث المذكورة تعتبر متدنية نسبيا، ويرجع ذلك لأسباب سياسية واجتماعية أيضا، إذا أخذنا بعين الاعتبار المدن المختلطة بين العرب واليهود، ومدى ممارسة العبرية في الأحاديث اليومية. لكن، من ناحية أخرى، لم ينجح القائمون على تعليم اللغة العربية بإرساء أو اقتراح سياسة لغوية واضحة المعالم، بالإضافة إلى الضعف اللغوي الذي يعاني منه الفرد العربي، ليس لأسباب ترتبط بالأيدولوجية اللغوية المعدة له فحسب، وإنما لأسباب منوطة بالقائمين على تدريس العربية في المدارس والكلليات. وكفانا القول أن العربية أدبًا وقواعدًا وثنائية تعتبر من أصعب اللغات، ومع ذلك فالتجربة في سوريا لتدريس العلوم (مثل الطب) باللغة العربية أثبتت نجاعتها، وليس كما هو الأمر في الدول العربية، حيث يدرس الطالب العديد من الموضوعات العلمية بالإنجليزية أو الفرنسية.^٢

لا يمكن الاستغناء عن تعلم العبرية، كونها اللغة الرسمية في الدولة، وإن كانت هي اللغة الثانية بالنسبة للأقلية العربية، يتمكن المواطن بواسطتها معرفة الثقافة والتراث اليهودي، بالإضافة إلى أنه وسيلة التعامل في جميع مجالات الحياة. لكن المنهج لم يراع الحاجات الحيوية للفرد العربي، بل اقتصر في بعض الأحيان على موضوعات قريبة من عالم الفرد اليهودي. لذا أعدت وزارة المعارف منهاجا جديدا يتيح فكرة التواصل بين المواطنين العرب واليهود، لكن هذا الجانب ما زال في محك التجربة كما يشير الباحثان.

أما بالنسبة للغة الإنجليزية، كلغة أجنبية أولى، فثمة فرق بين فرص تعلمها بين الطالب العربي واليهودي، فمعظم الدراسات تشير إلى الضعف الكبير الذي يعاني منه الطالب العربي

^٢ راجع: المؤتمر العلمي الأول حول الكتابة العلمية باللغة العربية: واقع وتطلعات، بنغازي، ١٩٩٠.

بالإنجليزية في جميع مراحل التعليم، ويرجى الباحثان ذلك لعوامل ترتبط بواقعه الثقافي والاجتماعي، كما سنوضح ذلك لاحقاً.

أما اللغة الفرنسية كلغة أجنبية اختيارية ثانية، فقد أشرنا أنها تدرس في المدارس الخاصة (في يافا والناصرة وحيفا وغيرها)، وليست المدارس الحكومية، فيكون الهدف من تعلمها كلغة تواصل مع الناطقين بها، وفي هذا المجال ربما لا نجد فرقاً بين الطالب العربي واليهودي، بحيث تبقى اللغة في إطار تعليمي خاص. ويبدو أن اللغة الفرنسية يحتاجها الطالب في الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراة).

بات من الواضح لنا أن اللغة العربية (بثنائيتها Diglossia)^٢ تعتبر لغة قومية للأقلية العربية في إسرائيل، ورغم رسميتها، لم تحظ بمكانة خاصة. ومن الجدير بالذكر أن الباحثين تناولوا باهتمام كبير ازدواجية العربية ومدى تأثيرها على المخزون اللغوي للمواطن العربي؛ فالفصحى تستخدم كلغة تحاطب في المؤسسات الرسمية، بينما العربية المحكية يتكلمها المثقفون وتستخدم في الحياة اليومية، وتختلف من قرية أو مدينة إلى أخرى (نعني تعدد اللهجات). أما اللغة العبرية فهي بمثابة لغة تواصل مع الإسرائيليين، وبالأحرى اللغة التي تسيطر على جميع مرافق الحياة. لا شك أن الدراسة التي استعرضناها بإيجاز، تعد رائدة في هذا المجال، أي مضممار الدراسات اللغوية في البلاد، وقد قدم الباحثان هذه الدراسة بناءً على فحص ميداني وإحصائيات مختلفة واستجابات وكذلك دراسات لغوية مقارنة. والذي يجذب النظر القائمة البيولوجرافية الغنية باللغات العربية والعبرية والأوروبية، وكذلك التوصيات في ختام الدراسة، تطبيقاً للجوانب النظرية فيها. اننا بصدد دراسة علمية أولية بل رائدة، تتناول سياسية التربية اللغوية تجاه المواطنين العرب في إسرائيل.

^٢ راجع: Al-Toma, S.J., *The Teaching of Classical Arabic to Speakers of the Colloquial in Iraq, A Study of the Problem of Linguistic Duality*, Harvard University, 1957.

لا شك أن إسهام الدراسة التي بين أيدينا كبير جدا في مجال سياسة التربية اللغوية، وذلك لأنها قدمت في سياقها العامة فهجا واضحا قد يؤدي الى بناء سياسة تربية لغوية اكثر منهجية، تهتم بحاجات المتعلم وحاجات مجتمعه، وتعبر عن وعي لغوي معاصر يخطط للعربية برؤية محلية وعالمية، بغية تحديد مكانتها ومشكلاتها بين اللغات العالمية الأخرى.⁴

غالب عنابسه

⁴ راجع: Chejne, A., "The Role of Arabic in Present-day Arab Society, *The Islamic Literature*, (1958) 10 (4), pp. 15-54; Ch. Ferguson, "Diglossia" in: *Dell Hynes Language Culture and Society*, New York (1964), pp. 429-439; J. Blau, "Some Additional Observations on Syntactic Trends in Modern Standard Arabic", *IOS* (1976) 6 (4), pp. 158-190; "فצע احد מפצעיו" הספרות הערבית הפלסטינית בישראל, אלפיים, 1990:2, עמ' 244-286.